4- الاحتلال البويهي للعراق :

كانت أمور الخلافة العباسية مضطربة في بغداد والامارة السامانية منشغلة بخراسان وما وراء النهر وأصبح علي بن بويه متنفذاً في منطقته معترفاً به من قبل الجميع ، آمناً من أي هجوم ، فكان لزاماً عليه أن يوسع امارته أينما يشاء ، مادامت الفرصه سانحة أمامه ، وقد توجه علي بن بويه الى اقليم كرمان شرقاً ، إذ أرسل جيش بقيادة أخيه أحمد ، وقد استطاع أحمد بن بويه من دخول هذا الاقليم بعد أن هرب واليه ، وقدم سكان الاقليم الطاعة والولاء لأحمد بن بويه وبخاصة زعماء القفص والبلوش (البلوص) ، إلا أن أحمد بن بويه عاملهم معاملة سيئة وقاسية ، فتعاونوا ضده وأسروه وقطعوا يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى ، إلا أن زعيم القفص والبلوص عالجه من جراحه ، واعتذر من أخيه علي ، على ما قام به سكان المنطقة ، وهنا استعمل علي بن بويه الحكمة في معالجة هذا الموقف المتأزم ، فعزل أخاه عن ولاية كرمان ، وعين شخصاً آخر بدلاً عنه أكثر مرونة من أخيه ، وبهذا أمن علي بن بويه ظهره من ناحية الشرق بالاستيلاء على اقليم كرمان ، ثم توجه علي بن بويه بأنظاره باتجاه اقليم الأحواز ، الذي يعد ممراً لدخول الى العراق وبلاد الديلم ، ففي سنة 325هـ/ 936م هرب أبو عبد الله البريدي المتمرد على الخلافة العباسية الى علي بن بويه ، وزين له لسيطرة على العراق ، ففكر علي بالتوجه أولاً الى اقليم الأحواز ، ثم بعد ذلك يعد العدة لإحتلال العراق ثانياً .

ففي سنة 326هـ/937م تحركت القوات البويهية نحو الأحواز، وانتصرت على قوات بجكم ، وسيطرت على الأحواز، التي تم اتخاذها قاعدة لغزو العراق بعد ذلك ، كما حاول علي بن بويه أن يهادن السامانيين ، فعقد معهم اتفاقاً يدفع بموجبه أموالاً سنوية يدفعها لهم ، فأقروا بالسيطرة على جرجان وطبرستان والري ومركز الزياريين الجبال .

استحداث منصب أمير الامراء :

خلال المدة من 322-329هـ/933-940م استحدث الخليفة العباسي الراضي بالله منصب أمير الأمراء ، وقلده لوالي واسط محمد بن رائق ، كاجراء لحل مشكلة الخلافة المالية المستعصية ، وهي عدم تمكن الدولة من دفع رواتب الجند ، ومحاولة من الخليفة للتخلص من الجند الاتراك وقادتهم ، وسيطرتهم وجشعهم ، لكن استحداث هذا المنصب لم يحل المشكلة بل زاد في تعقيدها ، وأخذ القواد يتنازعون فيما بينهم ، فاستغل البويهيين الحالة الغير مستقرة في العراق ، وأخذوا يمهدون لغزو العراق والسيطرة على بغداد مقر الخلافة العباسية ، ففي سنة 327هـ/ 938م توجه أحمد بن بويه الى مدينة واسط فقاد الخليفة العباسي جيشاً بنفسه وتصدى له وأجبره على العودة

الى الأحواز وتكررت هذه المحاولة في سنة 327هـ/ 939م فجرت محاولة اخرى لإحتلال واسط أشرف عليها الحسن بن بويه ، بعد أن حاول البريديون الاستيلاء عليها ، فأراد البويهيون السيطرة عليها لحماية الأحواز ، لكن توجه قوة عسكرية من بغداد اجبرته على الانسحاب الى أصفهان واسترجاع هذه المدينة من قوات وشمكير ، الذي سيطر على اصفهان مستغلاً انشغال البويهيين بالهجوم على العراق ، أما في سنة 331هـ/942م فقد سار احمد بن بويه لإحتلال البصرة وقتال البريديين ، الا أن قسما من الجيش البويهي انحاز للبريديين ففشلت المحاولة ، وعادت القوات البويهية تجر أذيال الخيبة الى شيراز وتكررت محاولات البويهيين للسيطرة على واسط ، ففي سنة 332هـ/ 943م توجه أحمد بن بويه الى مدينة واسط ، بعد أن تم عقد تحالف بين البويهيين والبريديين إلا أن قوات الخليفة تصدت له واشتبكت معه في معركة حاسمة في موضع بالقرب من ((قباب حميد)) فانسحب أحمد بن بويه الى منطقة السوس (تعرف حالياً بالشوش وتقع في ايران) بعد أن وقع عدد من قادة الجيش البويهي في الأسر، وقام البويهيون بقطع البريد عن العراق حين هموا بمهاجمته ، بغية اخفاء ما يكون من أخبارهم وتحركاتهم حين قصدوا بغداد في سنة 334هـ/ 945م .

وفي سنة 333-334هـ/ 945-946م احتل أحمد بن بويه البصرة وواسط ، فتوجه اليه توزون أمير الأمراء وأجبره على الانسحاب الى الأحواز ، لكن وفاة توزون أمير الأمراء وتولي كاتبه جعفر بن شيرزاد امرة الأمراء ، فسح المجال أمام البويهيين لمعاودة الكرة لإحتلال بغداد ، وكان في بغداد قائد تركي يعرف بينال كوشة ، كان يراسل أحمد بن بويه ويدعوه للقدوم الى بغداد لإحتلالها ويسهل له المهمة ويبين له ضعف الخلافة وقواتها عن مواجهته ، وهذا ما تم فعلاً حيث توجهت القوات البويهية بقيادة أحمد بن بويه الى بغداد واحتلتها في جمادى الأولى سنة 334هـ/ 945م ، وبدأ الاحتلال البويهي للعراق ، الذي استمر الى سنة 447هـ/ 1055م ونزل معز الدولة البويهي بدار مؤنس الخادم أما أصحابه فنزلوا في دور الناس وأمر الخليفة بنقش أسمائهم على الدنانير والدراهم ، وبعد أن استتب الأمر لمعز الدولة ، استأثر بالأمر دون الخليفة .

6 - دور البويهيون في طمس الشخصية الاسلامية :

أ- محاولة افساد العقيدة الاسلامية .

ب - محاولة هدم الشخصية الإسلامية .

أ- محاولة افساد العقيدة الاسلامية :

لقد تـأخر اســـلام الـديلم لمـدة من الزمن قـاربـت القرنين من الزمـان، على الرغم من وجود الاسلام بين ظهرانيهم ووضوح قيمه السمحة ، ويرجح البعض سبب هذا التأخر أما بعمق تعلقهم بديانتهم الفارسية (المجوسية) أو تعلقهم بمعتقداتهم الوثنية ، ومن الأسـاليب التي اتبعها البويهيون لافساد العقيدة الاسلامية نقتطف عدداً من النماذج :

1- أظهر البويهيون تعاطفاً مع افكار وعقائد مناهضة للعقيدة الاسلامية ، ففي سنة340هـ/951م تساهل البويهيون مع رجل إدعى الربوبية .

2- غض البويهيون الطرف عن دعاة أفكار الحلول والتناسخ الهدامة ذات الجذور الفارسية الهندية القديمة ، وهي أن روح الانسان بعد موته أما تنتقل الى طبقة اجتماعية اسمى أو أدنى بحسب عمله في الدنيا ، فإذا كان عمله صالحاً حلت روحه في انسان من طبقة اجتماعية أعلى ؛ لأن نظامهم الاجتماعي قائم على التقسيم الطبقي ، واذا كان عمله طالحاً حلت روحة في طبقة اجتماعية أدنى ، واذا كان هو من الطبقة الدنيا حلت روحه في حيوان قذر، وهكذا فقد ادعى رجل بأن روح الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قد حلت به ، وادعت امرأة بأن فاطمة الزهراء رضي الله عنها قد حلت بها ، وهذا ما تقره المعتقدات الفارسية القديمة .

3- أدخل البويهيون الى مراسيم الاحترام في الدولة الاسلامية ، عادة تقبيل الارض ، عند رؤية الخليفة أو الوزير او اثناء مقابلته ، في حين ان الاسلام لم يجز الركوع أو السجود الا لله سبحانه وتعالى فقط ، وقد جاء في رسوم دار الخلافة ما ينفي هذه العادة عن الاسلام ، وكانت عادة الملوك قبل الاسلام ان تقبل الارض بين ايديهم ، اما ما اجازه الاسلام فهي اذا رأى المسلم الخليفة او امير المؤمنين قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين، دون اية انحنائة او ايمائة بالانحناء او الركوع او السجود او تقبيل الأرض بين يدي الخليفة .

4- حرم الدين الاسلامي الزنا وجعله من الكبائر لما في ذلك من خلط في الانساب وفساد اجتماعي وتدهور اخلاقي ، ولما يلحقه من امراض أثبت الواقع قبل الطب حقيقتها ، فالمجتمعات الاسلامية الملتزمة خالية من الأمراض الجنسية القاتلة ، في حين دعت الديانات الفارسية القديمة الى تحليل العلاقات بين الجنسين وخاصة الديانة المزدكية ، التي اشاعت الزنا وحبذته بين العائلة الواحدة ونفت وجود المحرمات (الام الاخت ، البنت، زوجة الاب وزوجة الاخ ، العمة والخالة وغيرها)، وجريا على هذه العادة ، فقد جعل عضد الدولة البويهي الزنا مهنة ، وفرض عليها الضرائب .

5- رفع البويهيون الشعار العلوي وتستروا به ، اذ لا يمكن افساد العقيدة الاسلامية الا بالدخول بها وتبني الشعار المعارض للعباسيين ، وهو المذهب الزيدي او أي شعار آخر معارض للعباسيين ، وهو الشعار المقبول عند المسلمين ، لاحبا بالعلويين وآل البيت الكرام (رضي الله عنهم) ، بل ليتخذ ستارا يتسترون به . ولكي نؤكد هذا فقد قام عضد الدولة البويهي بسجن مقدم العلويين (محمد بن عمر بن يحيى) الذي اعتقله عضد الدولة بسبب خوفه من تعاظم نفوذه، وظل معتقلا حتى تولى شرف الدولة بن عضد الدولة السلطنة البويهية ، فاطلق سراحه لكن بهاء الدولة ابن عضد الدولة أمر بسجنه مرة أخرى وأمر بمصادرة امواله ، وظل في السجن حتى مات (رضي الله عنه) وتكرر هذا العمل في سنة 369هـ/ 979م ، إذ قبض عضد الدولة البويهي على النقيب ابي احمد الحسين الموسوي ، والد الشريف الرضي، وعلى اخيه عبد الله وعلى قاضي القضاة أبي محمد وسيرهم الى فارس .

ولكي نؤكد ما سبق فقد احجم البويهيون عن اقامة خليفة علوي بدلا من الخليفة العباسي، لان البويهيين لا يعترفون بالخليفة العباسي ولا بشرعية خلافته كونهم شيعة زيدية ، وقد فكر عضكم الدولة في نقل الخلافة للفاطميين في مصر، أو تنصيب خليفة علوي بدلا عن الخليفة العباسي وعندما استشار خاصته ومقربيه في هذا الامر قالوا له أنك الآن مع خليفة لا نعتقد نحن ولا انت بشرعية خلافته ، فمتى اردت خلعه خلعناه، ولكن ان جئت بخليفة علوي نعتقد نحن وانت بشرعية خلافته فلو أمرنا بقتلك لقتلناك فأحجم عضد الدولة البويهي عن هذا العمل نهائياً ، ولم يفكر فيه ثانية ، لابل وقف في بعض المواقف أمام قرارات الخليفة العباسي ونفذها وهذا يعني من ناحية ضمنية طاعة الخليفة العباسي وامتثال أوامره على الاقل أمام عامة الناس .

6- استعان البويهيون في ادارة العراق بوزراء فرس عرفوا باستهانتها واستخفافهم بأصول الشريعة الاسلامية ، وميلهم إلى ظاهرة التنجيم والقول بالطبيعة أمثال أبي الحسن علي بن محمد بن جعفر الأصبهاني ، وعيسى بن مروان النصراني وغيرهم وكان الجدل لدى الخاصة يثير الكثير

من المشاكل فكيف بعامة الناس من الذين تكون ثقافاتهم محدودة ولا يعرفون معنى النص الظاهر فكيف بتفسير .

7- انتهاك حرمة القضاء: أكدت الشريعة الاسلامية على أهمية منصب القاضي ، ودوره في اقامة الحق بين الناس ، وتطبيق الحدود الشرعية والفصل بين الخصومات ، مع الحفاظ على أموال القاصرين والايتام والاوقاف ، وتقسيم المواريث بين الناس وكان على الدولة العباسية دفع رواتب هؤلاء القضاة ، وهذا ماجرى عليه الحال منذ عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) اما الآن وفي ظل الحكم البويهي فقد اصبح منصب القضاء يعطى لمن يدفع أكثر من غيره، وأصبح يعطى بالالتزام ، فقد ضمن معز الدولة البويهي منصب القضاء بـ 200،000 ألف درهم سنوياً ، واعطي المنصب لأبي العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب ، وهذا يعني ان القاضي عليه ان يجمع ما ضمن عليه منصب القضاء أولاً ثم جمع ما يقدر عليه ثانياً ، وهنا يبرز سؤال من اين يجمع القاضي هذا المبلغ الضخم ؟ ، عليه أن يبتز الناس ويضيع حقوقهم ، ويغتصب أموال اليتامى واموال الاوقاف ويقبض الرشى ، حتى يستطيع أن يوفر للبويهيين ولنفسه الكثير وهذا ما جرى فعلاً حيث ضاعت أموال اليتامى وأموال الأوقاف على المساجد ومؤسسات العلم وغيرها .

وقد أنكر الخليفة العباسي المطيع لله 334-363هـ/945-973م هذا العمل ولم يكن بيده من الأمر سوى الامتناع عن اقرار تعيين القاضي ، ولم يخلع عليه ولم يسمح له بالدخول عليه ولا بحضور موكب الخليفة ولم يكترث معز الدولة البويهي بأوامر الخليفة ولا باجراءاته ، بل اطلق يده بالابتزاز والرشاوي حتى قال الشاعر : مذل الدولة ابن بويه يقضي ... له ابن أبي الشوارب بالضمان كما ضمنوا الحسبة أيضاً وعينوا عليها أشخاصاً عرفوا بالخلاعة والمجون والحسبة ، كما يعلم الجميع هي من أولى مهام القضاء ، إذ في بدايتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واقامة الحدود على شاربي الخمر مباشرة ، ومنع التطفيف في الكيل ومراقبة الموازين والمكاييل، ومراقبة المباني من السقوط او التسلط على الناس من دور الاغنياء العالية والمشرفة على الدور المجاورة الواطئة ومراقبة حتى المؤذنين أثناء الاذان من التسط على الدور ، لما لها من حرمة ، والنظر لي الى عورات النساء بشكل خاص اثناء الصعود الى المآذن لرفع الاذان ؛ لأن النساء في منازلهن وتأخذ المرأة عادة راحتها في داخل بيتها من ناحية اللباس ، والمؤذن يشرف على ما لا يشرف غيره في هذه الناحية .

ب- محاولة هدم الشخصية الاسلامية :

1- التجاوز البويهي على الخلفاء : لقد آذى بنو بويه الخلفاء العباسيين واذلوهم وسلبوهم سلطانهم ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاصهم أحياناً ، وان الخلافة فقدت هيبتها وضعف شأنها في عهدهم ، وأن الخليفة أضحى العوبة في أيديهم بل ظل يمثل ومزاً دينياً ، ليس له من السلطه الا الاسم ، أما السلطة الفعلية فكانت بيد الأمير البويهي .

ان دخول أي احتلال الى أي منطقة في العالم هو اذلال لشعبها ولارادتها مهما قدمت الاعذار لذلك الاحتلال، ومهما كانت السبل والوسائل ، فبعد دخول البويهيين الى بغداد دخل معز الدولة احمد بن بويه على الخليفة العباسي ليقدم له فروض الطاعة والولاء، وتظاهر باحترام الخليفة المستكفي بالله 333-334هـ/ 944-945م وقبل الأرض بين يديه ، معلناً طاعته وخضوعه للخليفة العباسي ، لكنه من ناحية ثانية أعد مجموعة من الجند دخلوا مجلس الخليفة واخذوا يهتفون باصوات فارسية غير مفهومة بالنسبة لاغلب الحاضرين ، ثم تقدموا الى الخليفة متظاهرين بتقبيل يده ، فمد لهم الخليفة المستكفي بالله يده فسحبوه من يده وجروه الى خارج دار الخلافة، واخذوه الى دار معز الدولة ماشيا وسملت عيناه وسجن تحت التعذيب الى أن فارق الحياة .

بعد خلع الخليفة المستكفي بالله من قبل البويهيين وفق الطريقة المشينة التي رأيناها، تولى الخلافة المطيع الله 334-363هـ/ 945 - 973م ، ولما كان الخليفة الجديد قد جاء به البويهيون، فقد أصبح العوبة بأيديهم ، ولم يبق للخليفة الا الاسم فأصبح ابن بويه هو الحاكم المطلق وعين له وزيراً ، وهذه حالة لم يسبق لها مثيل في التاريخ العباسي، في حين اصبح للخليفة كاتباً يتولى الاشراف على اموره ومصاريفه ، ويتولى الاشراف على اقطاعات الخليفة ، ولم يكتف البويهيون بذلك بل قطعوا راتب الخليفة العباسي الذي كان يسد به نفقاته وأعطوه اقطاعاً في البصرة ليسد به نفقاته ، وكان هذا الاقطاع لا يسلم أيضاً من تجاوزات البويهيين ، والاقطاع كما نعلم هو بيد البويهيين أخذوه متى شاءوا واعادوه متى أرادوا ، فضلاً عن أن مورد الاقطاع غير ثابت ، وهو ليس كالراتب الثابت ، فربما يزيد أو ينقص تبعا لجودة المحصول أو رداءته .

كما تدخل معز الدولة البويهي في أمور لا تخصه فقد طلب من الخليفة النظر في داره والتجول بها فسمح له الخليفة بذلك لكنه ادرك خطأ وخطورة ما طلبه من الخليفة ،لأنه تجول بمفرده من دون اية حماية فخرج على جناح السرعة بعد أن نبهه أحد مرافقيه ، كما حجر معز الدولة البويهي على الخليفة المطيع الله أثناء الحرب مع الحمدانيين، وبعد انتصاره على الحمدانيين رفع الحجر عن الخليفة خوفاً من تحالف الخليفة مع الحمدانيين على الرغم من أن الاثنين ينتميان إلى نفس المذهب ، وقد عبر الخليفة المطيع الله عن حالته المتردية مع البويهيين فقال : ((أما الآن فليس لي منها -

أي الخلافة - إلا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الاطراف، فما يلزمني غزو ولا حج ، ولا شيء مما تنظر الائمة فيه ، فان احببتم اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتكم والامر كله)) ، وبلغ من اذلال البويهيين, لهذا الخليفة ان الحاكم البويهي بختيار عز الدولة بن احمد بن بويه ، اجبر الخليفة على بيع ثيابه و انقاض داره وقبض ثمنها .

ونتيجة لهذا التعامل المشين مع الخليفة المطيع الله ، اضطر الخليفة الى خلع نفسه من الخلافة وعهد بالخلافة الى ابنه الطائع لله ، فأثار هذا العمل حفيظة السلطان البويهي ، واتبع اجراءاً جديداً وهو محاولة جس نبض الناس وموقفهم من الخليفة الجديد ، فمنع الخطبة في بغداد لمدة خمسين يوماً ، ثم اضطر الى اعادتها بعد أن رأى نفورا من الناس وعدم موافقتهم وخوفاً من قيام أمر لا تحمد عقباه بالنسبة للبويهيين ، ولما تأكد البويهيون من مكانة الخليفة الطائع لله لدى المسلمين دبروا له مقتلة ومثلوا به حياً وسملوا عينيه وقتلوه بعد ذلك سنة 380هـ/990م .

كما شارك البويهيون الخليفة في شارات الخلافة والتي كانت حكراً على الخلفاء ، ومنها ذكر اسم السلطان البويهي في خطبة الجمعة والدعاء له بعد الخليفة مباشرة بالقابه الضخمة الطويلة العريضة (عز الدولة ، ركن الدولة ، صمصام الدولة ، عماد الدولة ملك الملوك) .

كما شاركوا الخليفة في ضرب أسمائهم وألقابهم على السكة وأسماء أولياء عهدهم ، والسكة كما نعلم هي من اختصاص الخليفة وحده ، كما شاركوا الخليفة في عملية قرع الطبول على باب دار الخليفة ، وبعد أخذ وشد سمح لهم الخليفة بقرع الطبل ثلاث مرات يوميا ، على أن تكون في داخل دار السلطان البويهي ، وانتزع البويهيون صلاحيات الخليفة بتعيين ولي العهد وحكام الاقاليم والولايات ، وقاموا هم بتعيين أو تحديد أي ولي عهد يريدون أو أي شخص يولونه الولايات وهكذا كما حاولوا الهيمنة على الخلافة عن طريق الزواج وذلك بتزويج بناتهم من الخلفاء العباسيين على أمل أن تنجب بناتهم مولوداً ذكر يستطيعون بقوتهم العسكرية من تنصيبه ولياً للعهد ويتصرفون بالأمر كاملاً تحت اسم هذا الخليفة المرتقب ، ففي سنة 364هـ/ 974م زوج عز الدولة بختيار بن معز الدولة ابنته (شاه باز) من الخليفة الطائع الله ، وجرى الشيء نفسه في سنة 369هـ/979م عندما زوج عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة ابنته الكبرى من الخليفة الطائع لله ((وفيها زفت ابنة عضد البدولة الى الخليفة الطائع الله ومعها من الجواهر شيء لا يحصى)) ، وفي عام 383هـ/993م عقد بهاء الدولة بن عضد الدولة لإبنته سكينة على الخليفة القادر بالله، لكنها توفيت قبل الدخول بها ، وبهذا فقد فشل البويهيون في تحقيق هذه الرغبة والوصول الى رئاسة الدولة العباسية ، عن طريق ولاية العهد على الرغم من محاولاتهم المتكررة .

2- محاولات اذلال الشعب وتفتيت وحدته :

أ- اتبع البويهيون سياسة فرق تسد : وهي سياسة قديمة اتبعتها مختلف الدول المحتلة منذ قديم الزمان، لكي تسيطر على البلاد التي تحتلها ، ولقهر روح المقاومة والاستقلال لديها، وغالباً ما تلتزم هذه الدول فئة من ذلك المجتمع وتسعى الى دعمه وتقديم العون له ، لا حباً به ، بل من أجل احكام سيطرتها على ذلك البلد ، وقد فعل الشيء نفسه البويهيون ، فالتزموا فئة دون أخرى وأوهموها بأنهم معهم وتستروا على أفعالهم وشجعوهم على بعض الأفعال مما سبب نقمة الناس عليهم ، فتعرضوا للمضايقة ، وهذا الشيء يجب الانتباه له دوماً .

ب- سيطر البويهيون على منازل الناس ، واستقروا بها ، وأجبروهم على مغادرتها ، واستغلوها لأنفسهم دون تعويض أو رضا من قبل ساكنيها ((ونزل الديلم والاتراك دور الناس ولم يكن يعرف ببغداد قبل هذ التنزل ، فصار من اليوم رسما)) و ((ولحق الناس في هذا الصقع شد شديدة من التنزل عليهم)) ، كما تأذى الناس بدخول البويهينين في مزارعهم وبساتينهم وحقولهم الزراعية ، أثناء عملياتهم العسكرية فجيش الدولة العباسية عندما يتحرك يتأذى بتحركه الناس فكيف بجيش محتل لايمت بصلة الى الناس أو البلد ، وعنما يخسر الانسان بيته ومزرعته وباب رزقه ، ماذا تكون النتيجة ؟ .

ج- غذى البويهيون محاولات تشويه العقيدة الاسلامية ، من قبل الأدباء والشعراء الماجنين وأصحاب الرأي المغرض ، وعنما يعزز البويهيون مثل هذه الحركات ويتستروا عليها ، تكون النتيجة ذات تأثير سلبي في عموم المجتمع ولاسيما لدى الطبقات غير المثقفة ، التي ترى أن من يدعمه البويهيون هو المنهج الصحيح، ولاسيما اذا غلف الهدف بغلاف جميل يقبله العوام ولا يعترضوا عليه .

د- هدم التماسك الروحي بين عموم الناس ، اذ يشكل الدين الاسلامي الرابط الأقوى بين عموم المسلمين في العراق ، ولهذ فان اثارة أي خلاف بين ابناء المجتمع يؤدي بالنتيجة الى اضعاف ذلك المجتمع ، وبخاصة اذا كان هذا الخلاف خلافاً دينياً ولدينا من الأمثلة الكثيرة في أوربا على سبيل المثال لا الحصر، إن الالتفات الى صغائر الأمور يؤدي بالنتيجة إلى ضياع أشياء أساسية داخل ذلك المجتمع ، والمستفيد الوحيد هم البويهيين فقط حكام البلاد الجدد الذين جاءوا بقوة السلاح واحتلوا العراق فقد احترق سوق الكرخ (فاحترق فيها مواضع كثيرة هلك فيها خلق كثير من الناس وبقي الحريق أسبوعاً)) .

هـ- ايهام الكتل المتحاربه بأن البويهيين معهم ، والبويهيون في حقيقة الأمر ليس الا مع انفسهم ولا يهمهم عموم الناس ومصالحهم ، والدليل على ذلك تردي الأوضاع العامة في العراق ابان الحكم البويهي وهذا ما حدث في السنوات 338 و 348 و 349 و 354 و 355 و 381هـ على سبيل المثال)) كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطان وتكرر الحريق في المحال واستمر الفساد)) و ((تجددت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم واشتد الحال فركب ابو محمد ابن الحسن الحاجب فقتل وصلب ، فسكن البلد)) .

و- أمر معز الدولة سنة 351هـ/ 962م بكتابة اللعن الصريح لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على جدران المساجد ، فنحن نعلم أن صحابة رسول الله لافرق بينهم فكلهم سواء لدينا ودليلنا على ذلك قول الرسول محمد (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ولو أنفق الناس بعد عصر الصحابة ملء الأرض ذهباً في سبيل الدعوة الاسلامية ما بلغ مُدَ احدهم ، لما قدموه من جهد في سبيل نشر الدين الاسلامي ، وهكذا فكيف يكتب لعن صحابة الرسول(ص) وسبهم علنا، وقد حذر الوزير المهلبي معز الدولة من مغبة هذا العمل ، فاكتفى بأن يقرأ في خطبة الجمعة : لعن الله من آذى آل بيت رسول الله محمد(ص) ، ولو رجعنا الى الهدف من وراء هذا العمل واحتكمنا الى العقل لوجدنا أنه يهدف الى زرع الفرقة والفتنة بين سكان البلد الواحد وبين أبناء الدين الواحد ، فمن من المسلمين لا يحب الرسول واصحابه وآل البيت الكرام عترة رسول الله محمد ، كما أمر معز الدولة بغلق الاسواق والحوانيت في أيام معينة (محرم، عاشوراء) في السنة .

7- الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المترتبة على الغزو البويهي للعراق :

نتيجة لما تقدم فقد عم الخراب عموم البلاد وضعف الانتاج وانقطعت التجارة وغلت الاسعار وتفشت المجاعات واندثرت الانهار لإعتماد البويهيين على نظام الاقطاع العسكري الذي ينهك الارض والفلاح ، الأرض بتدميرها وعدم رعايتها ، والفلاح بفرض الضرائب الباهضة عليه دون تقديم أي شيء له من دعم زراعي ، أو اعفاء من الضريبة في أيام القحط والمجاعات وتقديم السلف الزراعية له ، فاهملت السدود واندثرت الجداول لعدم العناية بها وبصيانتها ، وارهق الناس بالضرائب (المكوس) فضعفت الصناعة والتجارة والزراعة ، وشاع الفقر وتفككت الاخلاق وفشت الجرائم وقد عبر الدكتور الدوري عن ذلك فقال: ((وحكم البويهيون كاجانب ، لا تهمهم شؤون الاهلين ، ولا يعنيهم الا الحصول على أكبر ما يمكن من الوارد بالضرائب وغيرها، وبدل أن يدفعوا رواتب ،لجندهم ذهبوا الى اقطاعهم الأراضي والقرى، يأخذون وارد ضرائبها بدل الرواتب ويصف مسكويه ابتداء ذلك بقوله : ((وفي هذه السنة 334هـ/ 946م ، شغب الديلم على معز الدولة

شغبا قبيحا ، فضمن اطلاق اموالهم في مدة ضربها لهم، فاضطر الى خبط الناس ، واستخرج الاموال من غير وجوهها، فاقطع قواده وخواصه واتراكه ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد، وحق بيت المال في ضياع الرعية -أي عامة الاراضي - وصار اكثر السواد مغلقا وزالت ايدي العمال عنه فضمن أي اعطى بالضمان ،واستغنى عن اكثر الدواوين فبطلت)) . ولا يكفي ان يفسر هذا الاجراء بعدم توفر النقد اللازم ، بل ان جهل البويهيين وارثهم القبلي وما الفوه في بلادهم من اقطاع وراء مثل هذا التدبير ، وهكذا قامت بداية الاقطاع العسكري، ان الاراضي والقرى وزعت بالاقطاع على الجند والقادة، كما اعطيت لبعض المدنيين بالضمان ، ولكن بنسبة اقل من الاقطاع ، وكان المفروض ان يدفع المقطع شيئا من المال الى الخزينة ، وان يتكلف بنفقات الري وان تشرف الدواوين على الجباية ، ولكن شيئا من ذلك لم يحصل ،وتصرف المقطعون وكأن الأرض ملكهم . فادى ذلك الى خراب قسم من الاقطاعات ، لأن الجند لايهمهم إلا جمع المال . ولذا كانوا يطلبون غيرها (وصار الرسم جاريا ان يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون)) وزاد في سوء الحال اعتماد المقطعين على وكلائهم وغلمانهم لادارة اقطاعاتهم)) فلا يضبطون ما يجري على ايديهم ولا يهتدون الى وجه تثمير ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب من الفساد واعتاض اصحابهم مما يذهب من أموالهم بمصادراتهم وبالحيف على معامليهم)). واهملوا متطلبات الري وبه قوام الزراعة، فادى ذلك الى خراب الكثير من القرى، وتدهور وضع الزراع، وساءت احوال الفلاحين، وتعرضوا للظلم والافقار، فتخلى بعض الملاك عن ارضهم، وهرب الكثير من الفلاحين وقول مسكويه وهو معاصر ((فسدت المشارب وبطلت المصالح - منشآت الري - وأتت الجوانح على التناء - الزراع ، ورقت أحوالهم، فمن بين هارب جال ، وبين مظلوم صابر لا ينصف، وبين مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع، ليامن شره ويوافقه، فبطلت العمارات)) ، واعطيت الأراضي التي لم يشملها الاقطاع بالضمان وتفنن الضامنون في العسف والتلاعب ، اذ زادوا في الضرائب، واستحدثوا رسوما جديدة، وذهبوا الى مصادرة الزراع ظلما، ولم يعنوا بالري ، ومنعوا الموظفين من الاشراف عليهم ولم تستطع الادارة محاسبتهم أو مراقبة تصرفهم وبقي الناس تحت وطأتهم ((واقتصر في محاسبة الضمناء على ذكر أصول العقد، وما صح عنه، وبقي من غير تفتيش عما عوملت به الرعية)) .

ولم تسلم الاراضي التي كانت ملكا خاصا من هذا الوضع ، اذ ادى التجاوز والعسف في الجباية الى انتشار نظام الالجاء احتماء من الظلم فتحولت ملكية كثير من الاراضي عن هذا الطريق الى القادة خاصة من الاتراك ((فملكوا البلاد واستعبدوا الناس واستمر ذلك الى اليوم)) كما يقول

مسكويه. واحدث عضد الدولة (رسوما جائرة في المساحة والضرائب على بيع الدواب، ومنع من عمل الثلج والقز ، وجعلهما متجر للخاص"، وكان يتوصل الى اخذ المال بكل طريق)).

وكان من آثار اهمال نظام الري ، حدوث فيضانات متكررة اضرت بالزراعة في السواد، كما ان الاضطراب في المركز ساعد على زيادة فعاليات الاعراب وتكرار تجاوزهم، فمنذ أواخر القرن الرابع استولت عقيل على منطقة الموصل وغرب الفرات، واستولى بنو اسد على منطقة الحلة ، وتنفذت المنتفك وخفاجة في جنوب العراق، وكانت هذه القبائل في منازعات متصلة نشرت الفوضى والخراب ، كما انه كانت تغزو المدن والقرى، ولاقى التجار والفلاحون الأمرين منهم. كل ما مر ادى الى تكرار الغلاء والمجاعات بشكل لا سابق له .

ولم تفلح محاولات الامراء البويهيين في اصلاح وكري الانهار واعادة العمل بنظام الضرائب السابق في اصلاح الوضع المتدهور الذي اصاب الحياة الاقتصادية في العراق وتراجع النشاط التجاري والصيرفي زمن البويهيين نتيجة اعتمادهم على الارض وتقلص التعامل بالنقد في نطاق الدولة ، هذا فضلا عن تعرض التجار للمصادرات وللضرائب الكثيرة نتيجة تجزئة اراضي الخلافة ، ثم أن اضطراب الأوضاع العامة وعدم ادراك البويهيين لدور التجارة في الحياة الاقتصادية زاد في تقلصها ، هذا ولم يتوزع البويهيون عن التلاعب بالنقد احيانا، وذلك بتخفيض نسبة المعدن الثمين فيه، كوسيلة حسب فهمهم ، للتوفير للخزينة، وهذه ناحية حساسة، لأن قيمة النقود ذهبية كانت أم فضية كانت ذاتية تعتمد اصلا على نسبة المعدن الثمين فيها، وكل تلاعب تنعكس آثاره بسرعة في ارباك معاملات البيع والشراء، ومن المنتظر أن نرى تقلص دور المؤسسات الصيرفية ومعاملات الائتمان ، فلم يعد لها ذلك الدور الواضح في تسيير التجارة وتنشيطها مما أثر بدوره بصورة سلبية على حركة التجارة . وبعد هذا ، فإن خيرات البلاد صارت تستغل لفائدة البويهيين واتباعهم، في تدهور وضع اهل البلاد المعاشي، كما قلت الخدمات الاجتماعية التي كانت تقدمها الدولة ، وازداد الاضطراب في المدن لتردي حالة العامة، وتوسع الهجرة من الريف ، ثم أن سياسة البويهيين الاجتماعية في اثارة التفرقة والنعرات الطائفية الضيقة لتثبيت سلطتهم، زادت في حالة الاضطراب في المدن وفي تدهورها .

وهذا يفسر ازدياد فعاليات العيارين والشطار في العصر البويهي وازدياد اعدادهم ويجلب انتباهنا وجود عباسيين وعلويين بين العيارين والشطار مما يشعر بفقرهم وبتدهور احوالهم المعاشية ، وربما كان لهذه الأوضاع دور في ظهور حركة التصوف وتطورها واتساعها، وظهرت

لدينا في هذا العصر ايضا روابط بين ابناء المحلة الواحدة للدفاع عنها ضد غارات الجند والاعراب، كما صارت للمهن نقابات للدفاع عن حقوقها .

وخلاصة القول ، فإن الاحتلال البويهي للعراق انزل بسكان العراق الدمار وانزلهم الى مستوى الطبقة المتوسطة أو الواطئة ، كما ان واردات الخليفة والوزير والموظفين المدنيين انخفضت بينما زادت رواتب الجيش عما كانت عليه في العصر السابق للاحتلال البويهي . كما ازدادت الضرائب واصبحت مرهقة وكثيرة وأضرت بعامة الناس ، وخير وصف وصف به العراق ما قاله المقدسي بحقه : (بيت الفتن والغلاء ،وهو في كل يوم الى وراء ، ومن الجور والضرائب في جهد وبلاء ، مع ثمار قليلة وفواحش كثيرة ومؤن ثقيلة)). واود ان اشير هنا الى تفاقم الأوضاع في العراق ابان الغزو البويهي فقد تظافرت العوامل الاقتصادية جنبا الى جنب العوامل الطبيعية في تفاقم الوضع الاقتصادي في العراق آنذاك ، ففي سنة 334هـ/945م وهو عام دخول البويهيين بغداد ، فقد اكل الناس الاطفال وشووهم وعوقب من القي القبض عليه منهم) ، واكلوا الجيف ، واذا راثت الدابة اجتمعوا جماعة من الضعفاء على الروث ، فالتقطوا ما فيه من الحب والشعير فأكلوه، وكانت الموتى مطرحين في الطريق ، فربما اكلت الكلاب لحومهم ، وخرج الناس الى البصرة خروجا مسرفا ، فمات اكثرهم في الطريق، ومات بعضهم بالبصرة ، وصار العقار والدور يباع برغفان خبز ، ويأخذ الدلال بحق دلالته بعض الخبز، وبيع كر الحنطة بعشرة آلاف درهم) ، وبلغ المكوك من الحنطة خمسة وعشرين درهما و (أكل الناس خروب الشوك فاكثروا منه ، وكانوا يسلقون حبه ويأكلونه فلحق الناس أمراض وأورام في احشائهم ، وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى) ، وتكرر هذا الحال في السنوات اللاحقة حيث اشتد القحط وانقطع المطر في السنوات 373 و 376 و 377 و 382 و 383 و 384هـ وعندما يشتد القحط ترتفع الاسعار ففي سنة 383هـ/933م كان في العراق قحط شديد ، فبيعت كارة الدقيق بمائتين وستين درهما وكر الحنطة بستة آلاف وستمائة درهم غياثية . واصدق دليل على ما سقناه من كلام هو تركة عضد الدولة التي بلغت بعد وفاته 2,875,384 دينار من الذهب و 100,860,790 درهم من الفضة ، ولم يهتم البويهيون بطرق الحج ولم يقدموا اية حماية لحجاج بيت الله الحرام ولهذا كانت قوافل الحجيج تتعرض دائماً لهجمات القبائل في العراق وشبه الجزيرة العربية فضلاً عن هجمات القرامطة المستمرة .